

## مستقبل الأدب

للأستاذ علي الطنطاوي

تردحهم المساجد قبيل الامتحان بجماعات الطلاب ، يتحلقون فيها حلقاً ، يطالعون ويقرأون ، وقد صرحت مرة بحلقة فيها نفر فهمت من كلامهم أنهم من طلبة العربية والأدب ، في المدارس العالية ، قدمت قريباً منهم استمع إليهم ، وكان واحد منهم يقرأ في كتاب ، فإرأيته سلمت له خمسة أسطر متتابعات ، وما صرّ على خمسة أسطر إلا رفع فيها منخفضاً ، وخفض مرتفعاً ، وحرف الكلم عن مواضعها ، وأزالها عن منازلها ، ولم يدع لغويًا ولا نحوياً ولا عالمًا بالعربية من لدن أبي عمرو إلى الأثنونى ، إلا نبش قبره ويمتر عظمه ، ولعن يجعله أباه وأمه ، أما الطلاب الحاضرون فكان منهم من يتنبه للحننة الظاهرة ، ظهور البهتان في (القبس) ، فيردّه عنها ، ويفقل عن الخفية ، وسائرهم في عمى عن ظاهرها وخفيها ، ودقيقتها وجليلها ، فضاقت صدرى ، حتى خفت أن يتفجر بغضبة للعربية ، لا أدري ما عاقبتها فحملت نعلي وخرجت هارباً أسى ...

وذهبت فسألت المدرسين فقلت أن هذا القارىء ليس بدعاً في الطلاب وليس المتفرد في هذه (العبرة) في الجهل ، وهذا (التبريز ... ) فيه ، وإنما هو النموذج المصدق لأكثر طلاب المدارس في هذه الأيام ، واجتمعت بعد ذلك بكثير من طلاب المدارس العالية ، فما كدت أجد في أكثرهم من يشبه أو يداني أصحابنا يوم كنا في أوائل الدراسة الثانوية ، لا أقول هذا غفراً بأصحابنا ، ولكن تذكراً لهؤلاء ، وحشاً على الجد في طلب العلم ، وبيانا لما هبطوا إليه ، وما رضوه لأنفسهم من ترك العلم اعتماداً على شهادات يتناولونها ، أو كراسى يركبونها ، أو وظائف (١) يقبضونها ، حتى صارت الشكوى من الضعف في العربية عامة في مصر والشام والمراق ، وحتى صار من أبواب التسلية للادباء ، أن يفكروا في (تيسير ...) تعلم العربية ، بقلب قواعدها ، وتنكيس أوضاعها ، وابتداع البدع في نحوها وصرفها ،

أو هدم بنيانها ، وصرم نظامها ، بد (تسكين أو آخر كلماتها) ، و(ترك إعرابها) ، أو بنسفها من أساسها ، وقلمها من جذورها ، باستهلاك الحروف اللاتينية أولاً ، والكلمات اللاتينية ثانياً ، وما لا يعرفه إلا الله ثالثاً ... وما إلى شيء من ذلك حاجة ، ولا له فائدة ، وما بالغة تيسير حتى نبتنى لها أوجه التيسير ، ولكن في المرائم خور ، وفي الهمم ضعف ، وفي الشباب انصراف عن العلم ا هذى للحقيقة ، وإلا فهل صلحت اللغة برسما (١) وعلومها هذه القرون الأربعة عشر ، وصبرت على حكم الأتراك أولاً ثم الفرس ، ثم المغول ، ثم المهاليك المبيد ، ثم الأتراك أخيراً ، ورأت عصور الانحطاط ، وعهود التخلف ، وكانت في كل ذلك ظاهرة ظاهرة ، حتى لم يحل عصر من مؤلفين في النحو والصرف والبلاغة والأدب ، وحتى وضع القاموس أشهر معاجنا في عهد العثمانيين ، وألف شرحه الجليل بعد الألف للهجرة ، وحتى كان طلبة العلم في الدهور كلها عاكفين على النحو والصرف والبلاغة ، إن لم يتلوا ثمرتها فقد حفظوا قواعدها ، وإن لم يبلغوا مرتبة الأدب ، فقد احاطوا بعلوم الأدب ... هل صلحت اللغة هذه القرون وبدا الآن فسادهما ؟ وهل استسلمها الفرس والروم والأتراك والهنود حتى ظهر منهم علماء أجلاء فيها ، ولم تصعب إلا على أبناء العرب الأفتاح ، بعد ما طلع فجر النهضة ، وبدا النور ؟ وما لشبابنا وحدهم دون شباب العرب في كل العصور ، هم الذين عجزوا عن تعلمها والتمكن منها ؟ أم أقل ذكاء ، وأضعف عقلاً ، منهم جيمعاً ، ومنا ما كنا في مثل أستانهم قبل عشرين سنة ؟ لا ، بل هم أذكي منا ، ووسائل التلم في هذه الأيام أكثر ، وطريقته أسهل ، وربّما بحث كنا تصيد مسائله من متفرقات الكتب يرى الآن مجموعاً في كتاب واحد ، ينادى : من يقرأ في ؟ فالهم يستصحبون العربية ؟

وهل العربية أصعب عليهم من الكيمياء ، والجبر والهندسة وهذه الألسن التي يزجج بعضها في رأس الطالب بعضاً من تعديدها وما لا أكثرها من فائدة نلس ، أو عائذة تحس : اللاتينية التي أخذناها تقليداً بلا علم ، والسريانية والعبرية والفارسية والتركية دعك من الفرنسية والانكليزية وما لست أدري ماذا أيضاً ؟ أهذه

(١) أى خلطها وكتابتها .

(١) الوظائف الرواب .

العلوم وهذه الألسن كلها سهلة جميلة ، كأنها قصة من قصص الغرام ، بشرها الطالب مع الماء ، وبأكلها مع الحلو ، والصعوبة كلها في المربية ؟

وإذا كانت هذه العلوم وهذه الألسن صعبة كلها فما هو السهل الذي يذهب الطالب إلى المدرسة ليتعلمه ؟ ولماذا نفتح المدارس وزرع الأمة بنفقاتها ، ونحمل خريجيها على أعناق الناس حلاً ، بما حصلوا من العلم ، وما نالوا من الشهادة ؟

لا ، ليس في المربية صعوبة ، ولا في كتابتها وعلومها تيسير ، هذه ضلالة يجب أن ينتهي حديثها ، وأن لا نعود إلى إضاعة الوقت ، وإفساد النشء ، في الكلام فيها ... ويجب أن نحبها إلى الطلاب ، ونزعمهم في مطالعة كتبها ، حتى بأنهم ، ويسهل عليهم فهمها ، ولقد كنا في المدارس الابتدائية نقرأ الكتب العلمية الكبيرة حتى إنى قرأت (حياة الحيوان للمبري) - وقد وقع في يدي اتفاقاً - قبل أن آخذ شهادتها ، وقرأت (الأغانى) كله - متخطياً أسناده ، وما لا أفهم منه - في صيف السنة الثانوية الأولى ، وكذا يومئذ نحسن المراجعة في الحضري وفي المنفى ، وكان فينا من ينظم ويكتب ، وعندى مقالات كتبها في تلك الأيام ، قد لا ترضيني أفكارها ولكن أسلوبها يرضيني اليوم ، ولرفيقي أنور المطار شعر (قاله في ذلك العهد) جيد ، منه قصيدة (الشاعر) التي نشرتها كبرى المجلات الأدبية يومئذ (الزهراء) ، وهي في نحو ستين بيتاً ، أحفظ منها قوله ، وما ذلك من خيارها فكلها خيار :

كتب البؤس فوق خديه - طراً تترامى الآلام في كلفه ؛  
لهوى قلبه ، وللشجو عيناه . وللمالين كل هبائه  
وهو نهب لحادثات الليالي وحلال للدهر قرع صفائه  
يتلقى بصبره زروة الدهر ويشكو لربّه زوانه  
وكنا نختلف إلى بعض العلماء ، نسمع دروسهم العامة في المساجد ، ودروسهم الخاصة في البيوت فما أكلنا الدراسة الثانوية حتى قرأنا مع علومها ، النحو على المشايخ والبلاغة والفقه والأصول والحديث ، وحضرنا كتباً في التفسير والكلام والتصوف ، وعرفنا عشرات من أمات (١) كتب العلم ، قرأنا فيها أو تصفحناها أو رجعنا إليها ، وحفظنا أسماء مئات من أعلام الإسلام ، من الصحابة والتابعين والفقهاء والمحدثين والمفسرين والفلاسفة والقواد

(١) قالوا : الأمات للناس والأمات للأشياء .

والأدباء والشعراء ، حتى صارت أسناد الحديث والأدب مألوفة لنا ، لكثرة من عرفنا من رجالها ، ومن لا نعرفه نرجع إلى ترجمته ، وكنا في الثانوى نرجع إلى الإصابة وأسد الغابة والاستيعاب ، وتهذيب التهذيب ، وتهذيب الأسماء واللغات ، وابن خلكان والفوات ومعجم الأدباء ، وطبقات السبكي وتاريخ الخطيب وابن عساكر ، والديباج المذهب ، وطبقات الحنفية والبنية ، وتاريخ الخلفاء ، والقفطى وابن أبي أصيبعة ، وهذه الكتب كلها - وأخرى نسيها - في مكتبتى وكانت تحت يدي من تلك الأيام ... وإن زادت الآن (بحمد الله) كتباً كثيرة ... وقد نبغ في صفنا (فصلنا) جماعة من الأعلام ، هم في الشام اليوم واسطة عقد الثقافة ، والحلقة التي كانت مفقودة فوجدت فيهم والطبقة التي ليس لها جمود الشيوخ وإن كان لها بحمهم وتحققهم وليس لها نزع الشباب وخفتهم ، وإن كان لها نشاطهم ، كسميد الأفتانى الأديب المحقق الضليع ، وأنور المطار الشاعر السليم ، ومحمد الجيرودى الأديب العالم الذى جعله أديه وعلمه نايقة الحمامة في دمشق ، وجمال الفرا ووجيه السمان ، الأديبين الأصيلين اللذين غلبت عليهما الطيبة وعلومها . وقد نبغ في الصف الذى أماننا طائفة أخرى من الأعلام . كأحمد الكوارنى نايقة الحمامة في حلب ووكيل وزارة العدل اليوم ووزيرها أمس ، الذى ظهرت عبقريته طالباً ومحامياً وموظفاً ، وزكى المحاسنى الأديب الشاعر ، الذى لم يمنه سنة وقدمه أن يعود في الكبر طالباً ، والذى نال بالأمس شهادة الدكتوراه وكان ثامن دكتور في الآداب خرج من الجامعة المصرية ، وجليل سلطان الشاعر المصنف ، وعبد الكريم الكرمى (أبو سلمى) الشاعر الأديب ...

وما كانت تمر سنة لا ينبغ فيها نابغون في الأدب والعلم ، وعن نبغ في صفنا في كاية الحقوق ضيف مصر الآن العالم البهائى مصطفى الزرقا ، وهو اليوم من أساندة الكلية المبرزين .

ثم شح الينبوع ، ثم جف أو كاد ، حتى ما نجد في السنين الطوال كاتباً ينبغ في الشام ، أو شاعراً يظهر ، أو محققاً يرى ، وما زال الأمر إلى تخلف . ولقد اشتغلت بالتعليم دهرأ في الشام والدرق ولبنان فما فارقت فوجاً من الطلاب إلا استقبات أضعف منه ، حتى انتهى بي الأمر ، أن دعيت من سنتين إلى تدريس الآداب لطلاب السنة الأخيرة من مدرسة ثانوية ، فدخلت فوجدت رجلاً كبيراً ، لم طول وعرض ، وأناق في الثياب ، وإبداقة في

نقوسنا ، فلا تقدم عليها إلا بعد الاستعداد ، ولا تقدم لها إلا ما نعتقدها جيداً ، فتبدلت الحال ، وعلا الشباب بالفرور ، أو هبطت هذه المجالات ، حتى صرنا نرى الغلام البتدى ، يكتب مقالته الأولى فلا يراها أقل من أن تنشر في الرسالة مثلاً ، مع مقالة العقاد والزيات ، ولا يمدم بعد إيمان الفرع للأبواب من يفتح له باب مجلة من هذه المجالات .

هذا الشاب الذي يرى أنه وصل إلى الغاية بلا تعب ، ونال ما يطلب بلا مشقة ، لا يجد بعد ذلك ما يدفعه إلى سهر الليالي ، وتفرج الجفون ، في مسامرة الكتب ، والازدياد من العلم .

قليل الخطب خطب ضمهف الطلاب في علم من العلوم ، ولكنه خطب الأدب : إنها إن استمرت هذه الحال ، ومات هؤلاء الكتاب البلغاء ، وكل حتى إلى ممات ولو طال به الأجل ، فإنكم ستلتفتون تفتشون عن كاتب بليغ ، أو شاعر مقلق ، فلا تجدون ... فأعدوا من الآن شباباً تدخرونهم لذلك اليوم المصيب ، وإلا فعلت اللغة والأدب والبيان السلام !

على الظنطوى

(القاهرة)

### وزارة المعارف العمومية

إدارة التوريدات

المنافسات العامة

إعلان مناقصة

تقدم المطاوعات بعنوان حضرة صاحب العزة وكيل وزارة المعارف المساعد بشارع الفلكي بالقاهرة بالبريد الموصى عليه أو بوضعها باليد بمعرفة مقدميه في داخل الصندوق المخصص لذلك في إدارة المحفوظات بالوزارة لغاية الساعة العاشرة من صباح يوم السبت الموافق ٤ أكتوبر سنة ١٩٤٧ عن توريد العدد اللازمة لأقسام النقص بالمدارس الصناعية عام ٤٧/٤٨ ويمكن الحصول على شروط وقائمة المناقصة المذكورة من إدارة التوريدات بشارع الملكي بالقاهرة نظير دفع ١٠٠ مليم

٧٩٠٤

الخطاب ، وسمت ووقار ، فهبتهم وأعدت السدة لتعليمهم ، وحشدت كل ما أعطيت من قوة وعلم ، على ضمهف قوتي وقلة علمي ، ومضيت على سنتي حتى جاء موعد سؤالهم ، فإذا هم من أئمة الجاهلين ، وإذا هم لا يحسنون قراءة بيت ولا فهمه ولا إعرابه ، فقررت منهم ، حين وجدت أني إن كتبت ثيابهم وهيئتهم منمتني جهالتهم ، وإن خاطبت جهالتهم منمتني هيئتهم ، فالحكاية ليست حكاية كتابة تسهل ، ولا قواعد تيسر ، ولا أغراض خبيثة تحقق من وراء هذه السبر اللامعة ، ولا سموم تقدم في هذه الكأس البراقة ، ولكنها مشكاة العلم أروا ، والتلميذ ثانياً .

وما دام الملون ، أي أكثر من عرفت من معلمى العربية ، أصحاب شهادات لا علم ، خطفوا مسائل في المدارس خطفاً ، وحفظوها حفظاً ، ومنهم من تعلمها في ديار الغرب ، وجاء منها بدكتورات حرب<sup>(١)</sup> وما دامت دروس العربية تلقى بالعامية ، وما دام مدرس الأدب يتكلم ساعة عن أبي تمام وأدبه وما قيل فيه ، ولكنه لا يفهم بيتين من شعره ، ولا يحسن شرحهما ، ويعلم الأدب وهو ليس بأديب ، وما دام يتصدر للإمامة في ( فن القول ) من لا يدري ما يقول — فن أين يتلقى الطالب العربية ؟ فهاتوا المعلم القوى في علوم اللغة ، صاحب الاطلاع فيها ، والنور في فهمها ، يصلح هو فساد المناهج ، ويقوم اعوجاج الكتب ، وييسر عسر اللغة ، ( إن كان فيها من عسر ) وهذا العلم لا يوزن بميزان الشهادات وحدها ، إلا إذا جاء وقت لانمطي فيه الشهادات إلا لأربابها ، وتكون شهادة حق لاشهادة زور ، ففتشوا أنتم الآن عن ميزان آخر !

أما التلميذ فيجب أن نجيب إليه الطالبة ، ونعرفه قيمة العلم ونذيقه لذته ، ولا يكون ذلك ما دامت المجالات والمطابع مفتحة أبوابها ، لكل هذيان وعبث صبيان .

وبيان ذلك أن في نفس كل ناثنى في الأدب حباً للظهور ، وهوى للنشر ، فلا يجد أن جد إلا ليلق اسمه على رأس مقالة في مجلة ، أو على غلاف كتاب ، واقد كان الواحد من أصحابنا يتمنى أن ينشر ما يكتبه بعد طول الكد ، وسابمة الدهر ، في جريدة محمية ، ثم يرتقى إلى المجلة الصغيرة . ثم يتدرج حتى يصل إلى مثل الرسالة أو الثقافة . هكذا كنا ، وهكذا كانت لهذه المجالات هيبه في

(١) دكتور حرب على وزن ( غنى حرب )